توت والعصفور

د. محمد أبو الخير

توت والعصفور

د. محمد أبو الخير

2018

رقم الإيداع: 19883 - 2018
الترقيم الدولي: 978-977-90-5773-6

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من المؤلف.

ثُوتٌ طِفْلٌ فِي الثَّامِنَةِ مِنْ عُمْرِهِ ذُو وَجْهِ صَبُوحٍ، دَائِمًا عَلَيّهِ اِبْتِسَامَةً مُشْرِقَةً، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُسَاعِدَ وَالِدِيّهِ فِي أَعْمَالِ الْمَنْزِلِ، حينما تَطَلُّبَ مِنْهُ أُمَّهُ شَيئاً مِثْلَ تَرْتِيبِ السَّرِيرِ أَوْ أَنْ يَضَعَ طَبَقَ طَعَامِهِ فِي الْمَطْبَخِ فَهُوَ يُلَبَّى ذَلِكَ دَائِمًا.

ثُوتٌ أَيْضًا مَحْبُوبٌ مِنْ زُملَائِه فِي الْمَدْرَسَةِ لِتَفَوُّقِهِ فِي الدِّرَاسَةِ وَلِخَلْقِهِ الْحَسَنِ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، بَيْنَمَا تُوتٌ عَائِدٌ مِنَ الْمَدْرَسَةِ إِلَى بَيْتِهِ، رَأَى عُصْفُورًا صَغِيرًا عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، وَقَفَ تُوتٌ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَى الْعُصْفُورِ، فَوَجَدَ الْعُصْفُورَ يَتَأَلَّمُ مَنْ جُرْحٍ فِي رِجْلِهِ.

اِقْتَرَبَ تُوتٌ مِنَ الْعُصْفُورِ وَقَالَ لَهُ: مَا بِكَ أَيُّهَا الْعُصْفُورُ الْجَمِيلُ. لِمَاذَا تَتَأَلَّمُ؟

نَظَرَ إِلَيْهِ الْعُصْفُورُ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ: بِي جُرْحٌ فِي رِجْلِيّ.

فَهِمَ تُوتٌ نَظَرَاتِ الْعُصْفُورِ، وَأَخَذَ يَقْتَرِبُ وَهُوَ يَقُولُ: لَا تَخَفْ أَيُّهَا الْعُصْفُورُ الْجَمِيلُ، لَا تَخَفْ.

اطْمَأَنَ الْعُصْفُورُ لِتُوتٍ وَتَرَكَ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. حَمَلَ تُوتُ الْعُصْفُورَ وَأَخَذَ يُفَكِّرُ.

مَاذَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ تِجَاهَ ذَلِكَ الطَّائِرِ الرَّقِيقِ؟

وَبَيْنَمَا تُوتٌ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ الْبَيْتِ، وَجَدَ الْحَارِسَ سِمْحُو فَقَالَ لِنَفْسِهِ، لِمَّا لَا أَسْأَلُ الْحَارِسَ سِمْحُو، عَلَى مَكَانِ مَدِينَةِ الطُّيُورِ.

وَبِالْفِعْلِ سَأَلَهُ تُوتٌ فَقَالَ لَهُ سِمْحُو: إِنَّهَا بِالْقُرْبِ مِنْ أَبِي الْهَوْلِ، عِنْدَ أَهْرَامَاتِ الْجِيزَةِ الثَّلَاثَةِ. الْهَرَمُ الْأَوَّلُ لِخُوفُو، والثاني لِخَفْرَعَ، وَالثَّالِثُ مِنْكَاورَعَ.

لَقَدْ تَمَّ بِنَاءُ أَبِي الْهَوْلِ فِي عَهْدِ الْمَلِكِ خَفْرَعَ، إِنَّ جَسَدَهُ عَلَى شَكْلِ أَسَدٍ، حَيْثُ يَرْمُزُ لِلْقُوَةِ، بَيْنَمَا رَأْسُهُ عَلَى شَكْلِ رَأْسِ إِنْسَانٍ، تَرْمُزُ لِلْحُكْمَةِ.

وَفَوْرَ وُصُولِ تُوتٍ إِلى الْبَيْتِ، طَلَبَ مِنْ أُمِّهِ أَنَّ تُحْضِرَ طَبَقَيْنِ، وَاحِدٌ بِهِ مَاءٌ، وَالْأَخَرُ بِهِ أُرْزُ، لِأَنَّهُ شَعَرَ أَنَّ الْعُصْفُورَ فِي حَالَةِ جُوعٍ شَدِيدَةٍ.

وَعِنْدَ حُضُورِ الْأَبِ شَرَحَ تُوتٌ الْمَوْقِفَ لَهُ، فَقَالَ الْأَبُ: إِنَّهُ يَعْرِفُ مَكَانَ مَدِينَةِ الطُّيُورِ.

بَعْدَ الْغَدَاءِ، اِنْطَلَقَ الْأَبُ وَتُوتٌ بِعَرَبَةِ الْخَيْلِ.

حَمَلَ تُوتُ الْعُصْفُورَ مَعَهُ إِلَى مَدِينَةِ الطُّيُورِ.

قَابَلَ تُوتٌ وَأَبُوهُ الْمُدِيرَ الَّذِي رَحَّبَ بِهِمَا تَرْحِيباً شَدِيداً.

أَعْطَى تُوتُ الْعُصْفُورَ إِلَى مُدِيرِ مَدِينَةِ الطُّيُورِ لِكَيْ يُعَالِجَهُ، وَيَقُومَ عَلَى الْعِنَايَةِ بِهِ.

وَسَأَلَ تُوتٌ الْمُدِيرَ: هَلْ تَقْبَلُونَ تَبَرُّعَاتٍ فِي مَدِينَةِ الطُّيُورِ؟

فَقَالَ الْمُدِيرُ: نَعَمْ نَقْبَلُ التَّبَرُّعَاتِ.

قَالَ تُوتٌ: هَلْ تَسْمَحُ لِي بِأَنْ أَتَبَرَّعَ بِكُلِّ مَا مَعِي لِلْجَمْعِيَّةِ يَا أَبَى؟

قَالَ الْأَبُ: إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَدَىَّ مَانِعٌ، إِنَّهَا نُقُودَكَ يَا تُوتٌ، وَمَا أَجْمَلَ أَنَّ تُنَفِّقَهَا فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ.

قَالَ تُوتٌ: شَكَرًا لَكَ يَا أَبَى.

وَتَبَرَّعَ بِكُلِّ نُقُودِهِ الَّتِي فِي جَيْبِهِ، إِلَى صُنْدُوقِ مَدِينَةِ الطُّيُورِ.

أُعْجِبَ الْمُدِيرُ مِنْ سُلُوكِ تُوتٍ وَشَكَرَهُ، بَلْ وَأَهْدَاهُ وَرَقَّةَ بَرْدِيٍّ مَرْسُومُ عَلَيْهَا طُيُورٌ وَحَيَوَانَاتٌ جَمِيلَةٌ مُلَوَّنَةٌ.

اِقْتَرَحَ الْمُدِيرُ عَلَى تُوتٍ أَنْ يُكَوِّنَ جَمْعِيَّةً لِلرِّفْقِ بِالْحَيَوَانِ فِي مَدْرَسَتِهِ.

وَوَعَدَهُ تُوتٌ بِأَنَّهُ سَيُخَبِّرُ نَاظِرَ الْمَدْرَسَةِ، وَسَيَقُومُ عَلَى تَنْفِيذِ الْفِكْرَةِ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ مَشْرِقٍ، وَجَدَ تُوتٌ عَلَى شُبَّاكِ غُرْفَتِهِ عُصْفُوراً يَنْقُرُ عَلَى الزُّجَاجِ، وسَمِعَ زَقْزَقَةً عَذَبَةً مِنَ الْعُصْفُورِ وَكَأَنَّهُ يَشْكُرُهُ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتُوتٌ يَفْهَمُ كَلَامَ الْعَصَافِيرِ.